ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

العدد (5153) السنة التاسعة عشرة الاثنين (28) آذار 2022
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

من ذكريات مدينة النجف

نص نادر

من مشاهير ظرفاء العراق في القرن التاسع عشر

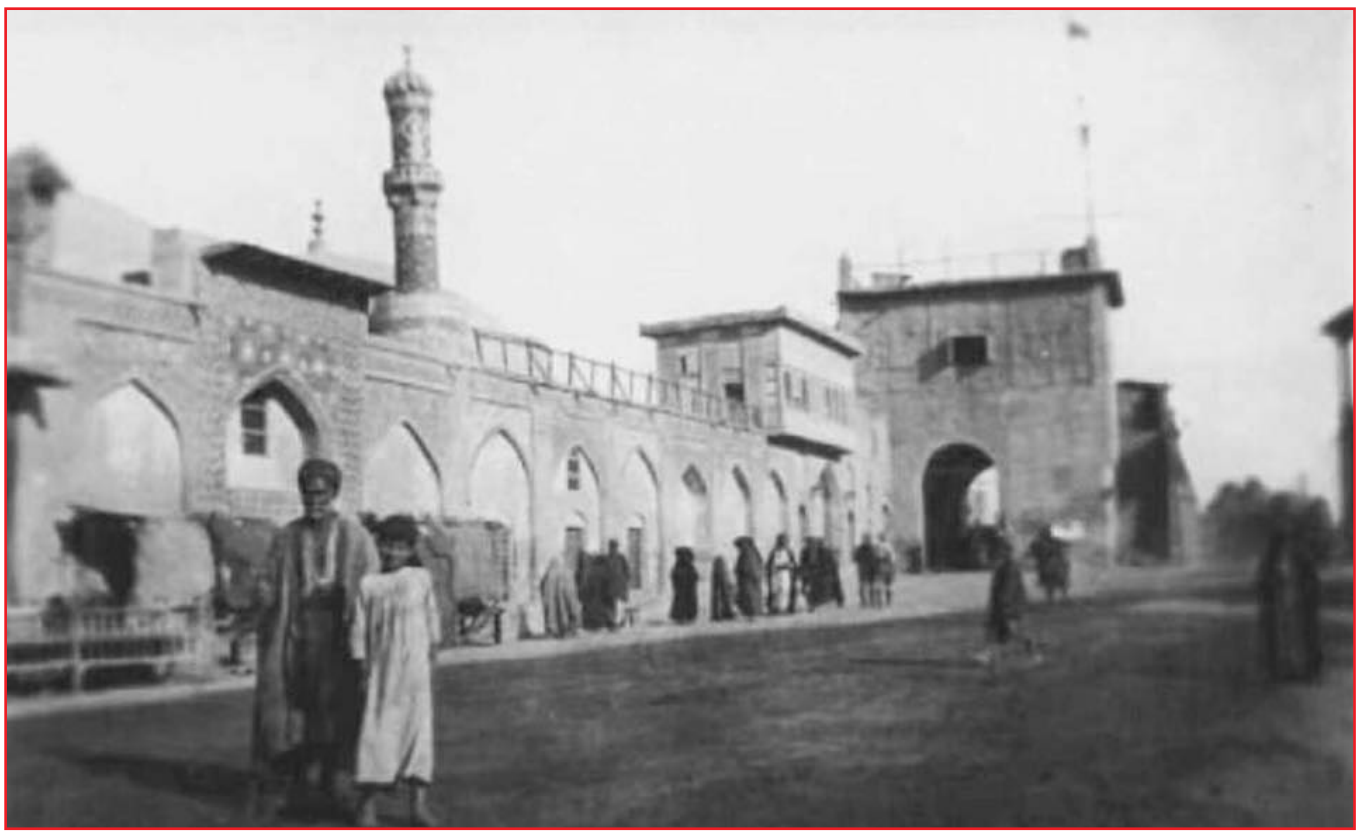

محمد بهجة الأثري

كان القرن الثالث عشر ثم هذا القرن الذي نحن فيه من احفل القرون التي مرت على العراق بعد سقوط الدولة العباسية بنوابغ الأدباء، وأكابر العلماء، وأمثال النبلاء؛ وقد مضى ردح من الزمن ولم أر من عني بتأليف كتاب يتكفل بشرح سيرهم ويوفيهم حقهم على اختلاف صنوفهم ومشاربهم - فحملني الكلف باجتلاء عرائس المأثور من المنظوم والمنثور. وسير العظماء والمشاهير على تأليف كتاب جامع مانع يضم بين دفتيه تراجم من نبغ في هذين القرنين في العراق من مشاهير العلماء، ومجيدي الشعراء، وأخبار الأعيان والأمراء، وعظماء التجار والأغنياء، ومبرزي القراء والمغنين الظرفاء... الخ وظللت زمنا أتسقط أخبارهم من مختلف المصادر، واسأل عنهم من لقيت من الشيوخ الثقات حتى توفر لدي منها (رقائق تحسد رقتها أنفاس النسيم، وقلائد تروع حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم).

وقد احب حضرة الأستاذ الكرملي أن انشر في كل جزء من لغة العرب نموذجا من ذلك يكون تحفة لقرائها، ومرجعا للباحثين عن تاريخ العراق. وهاأنا ذا محقق بغيته:

(نموذج من تراجم الظرفاء).. الملا طعمة بن عبد الوهاب كان في بغداد من نوادر الإعصار يذكرك إذا سمعت أخباره أبا نواس في نوادره وغرائبه.

وهو ربيب الشيخ محمد سعيد الطبقجلي مفتي بغداد وجده صبيا يبكي عند باب جامع الحيدرية ضالا فسأله عن اسمه فقال: طعمة، وعن أبيه فقال: عبد الوهاب، فأخذه إلى داره وعني بتربيته وتهذيبه ووكل به من علمه القرآن الكريم فحفظه حفظا متقنا، وتعلم الخط فجوده، ودرس اللغة العربية وشدا الأدب، وأتقن صناعة التجليد، وحذق ضروب الغناء والضرب على الكمنجة حتى اصبح في فنونه أعجوبة الدهر.

وكان مفرط الذكاء مجيدا في تقليد الحركات والحكايات والأصوات منقطع النظير في السباحة؛ يتصرف فيها تصرفا عجيبا ويأتي فيها ضروبا لا يكاد يقدر عليها إنسان فكان تارة يعوم على سطح الماء منتصبا حتى لكأنه جالس على كرسي أو فراش وثير ويضع على فخذه نارجيلة يدخن بها ذاهبا آئبا يمينا وشمالا. وتارة يقطع دجلة منكسا رأسه لا يبين منه سوى عجزه خارجا إلى غير ذلك مما يفتن الألباب من عجائب الألعاب.

ومن نوادره قصة مشهورة يذكرها الشيوخ فيما يذكرون في مجالسهم من النوادر والغرائب، وذلك أنه قبل أن يبقل عذاره ويطر شاربه صنع من الصوف لحية وشاربا ووضعهما في موضعهما من وجهه ولبس عمامة هندية كأنها العش، وهيأ له من حمل أمامه الفانوس (المصباح) وقت العشاء في الصيف فأستأذن على مربيه المفتي وكان مجلسه غاصا بأصحابه الفضلاء والأعيان قائلا: أنه من حكماء الهند وأطبائها فأذن له فلما

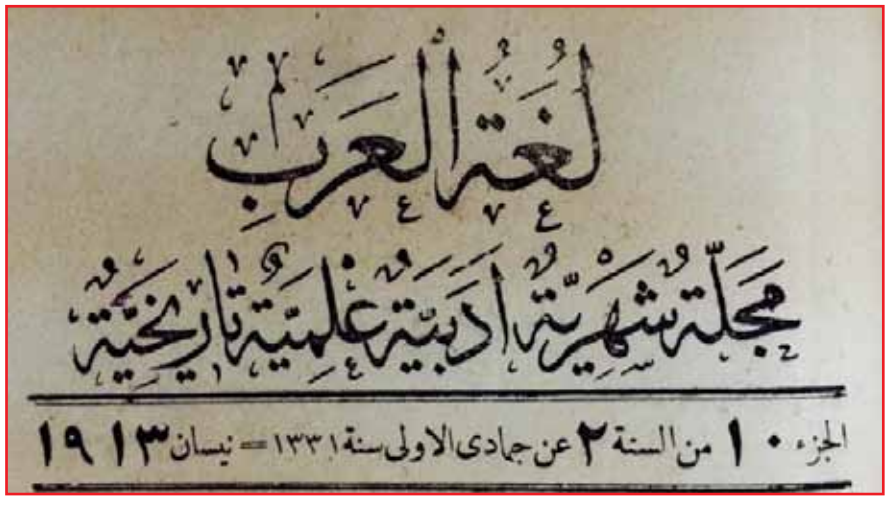
لغة العرب
مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية
الجزء ١٠ من السنة ٢ عن جمادى الاولى سنة ١٣٣١ = نيسان ١٩١٣

دخل نهض المفتي واستقبله وجذبه إلى الصدر ورحب به وقد خفي عليه أمره فأخذ طعمة يتكلم بلهجة هندي تعلم العربية واظهر أن له اليد الطولى في الطب والحكمة، وكان في المفتي وفي كثير من جلسائه أمراض لا تخفى عليه لكثرة خدمته لهم ووقوفه على خافيهم وباديهم، فصار كل واحد منهم يتقدم إليه فيجس نبضه ويفحصه فحص الطبيب الحاذق فيخبره بما فيه ويصف له ما يناسبه من العقاقير حتى بهرهم وأخذتهم الدهشة من حذقه ومعرفته. فلما أستأذن للوداع شيعه المفتي وجماعته معجبين به راغبين إليه في الاجتماع به كثيرا حتى إذا بلغ السلم انحدر مسرعا كالبرق فضحك الخدام ضحكا عاليا سمعه المفتي وأصحابه في السطح فسألوا عن السبب فأخبروهم بالأمر فاستغرقوا في الضحك واعجبوا بنكتته.

وقد بدل اسمه أخيرا باسم (ناجح) فقال فيه الأديب محمد فهمي العمري على سبيل الممازحة:

هنئت يا (ناجح) في هذا اللقب... اسما سما جميع أسماء العرب

يا لك من اسم إذا سمعته... يهزني من حسن لفظه الطرب

لازلت يا (ناجح) تسمو في الورى... باسمك هذا رتبا فوق رتب

تفاؤلا بالخير في نجاحكم... به دعاك الناس يا أبا العجب

لم تر عيني كاتبا بين الورى... كناجح أن خط يوما أو كتب

وأن تغنى اسكت ابن معبد... وأخجل الحبر أبن هاني أن خطب

أجارك الله من اسم قد غدا... في قبحه كأنه داء الجرب

لا بارك الله بطعمة بلى... بارك عز شأنه في ذا اللقب

وجن طعمة في آخر عمره وتوفي سنة 1315هـ في بيت آل جابر أفندي في الحلة، وقد بلغني أن لديهم مجموعة من شعره ولم يصلني منه إلا شيء قليل أوردته هنا؛ قال وقد سرقوا حذاءه وتركوا له عوضا عنه حذاء طويلا يفضل عن قدمه:

قطع الله يمينا... سرقت مني حذائي

عوضتني بحذاء... نصفه يمشي ورائي

ويروى (عوضتني فلك جسر... الخ.

وقال يهجو بيتا من بيوتات بغداد:

بسوء الفعل يا أبناء دلّة... تركتم كل قلب فيه علة

فما فيكم فتى يرعى ذماما... ولا حر يرى حق الاخلة

ترديتم ثياب اللؤم طبعا... وصرتم في البرايا شر ملة

فما شهد الزمان لكم بفضل... ولا ذكرت لكم في الخير خصلة

إذا طرق الضيوف لكم فناء... طلبتم من نساء الحي بوله

لتطفوا نار موقدكم سريعا... مخافة أن يحوم الضيف حوله

متى ترحم قلوبكم فقيرا... متى تسمح كفكم ببصلة

متى جدتم على عاف بشيء... يساوي قدره في الناس نملة

فمن يرجو شرابا من سراب... كمن يرجو ندى من آل دلّة

فقبح حيكم من حي قوم... متى ما حرك النباح ذيله

لكم في السؤ أخبار تجلت... كعين الشمس لم تحتج أدله

جراحات السنان لكم طباع... لها لسع أباد الجسم كله

فصور شخصهم قبرا بأرض... بها الأموات أضحت مضمحلة

ولا تأسف على قوم لئام... تبين لؤمهم عند الاجله

ولا تغتظ من الاردا ودعه... ودع في.... ستين جزله

وقال يمدح السيد عارف حكمة ابن العلامة السيد عبد الله الالوسي يوم كان (مدير المال) في السماوة، وقد وجدته بخط شيخنا العالم الجليل السيد علي علاء الدين الالوسي عليه رحمة الله:

زان السماوة عارف بوجوده... فحكت به روضا زها بورده

أو ما ترى أرجاءها بأريجه... طابت وأزهر روضها بوجوده

بوفوده أنحاؤها قد أشرقت... قد أشرقت أنحاؤها بوفوده

شهم سما الأقران فضلا ياله... فضل يحار العقل في تقليده

ما خاب من وافاه يطلب نيله... كم معدم أحياه وابل جوده

ورث المكارم كابرا عن كابر... والفضل عن آبائه وجدوده

لما مضى أسلافه خلق الندى... فسعى وايم الله في تجديده

وكذا الوفا لما وهت أركانه... أضحى شديد العزم في تشييده

اكرم به من أريحي دأبه... بذل الندى لعدوه وودوده

لازال في فلك السعادة كوكب... يبدي السنا لقريبه وبعيده

م. لغة العرب 1927

ذاكرة
العدد (5153) السنة التاسعة عشرة
الاثنين (28) آذار 2022
www.almadasupplementscom

الوضع الصحي في العمارة في الحرب العالمية الأولى

عمار عبد الرضا ماهود

وخلال فترة السيطرة العثمانية كل ما كان يوجد في لواء العمارة طبيب واحد خاص بالبلدية والطبيب العسكري المرتبط بالفوج العسكري العثماني الموجود في العمارة ويندر من يراجع الطبيب من الأهالي ، وتوجد صيدلية أهلية واحدة وصيدلية أخرى تابعة للفوج العسكري ، وهكذا فلم يكن في لواء العمارة خلال فترة السيطرة العثمانية إي مستشفى حكومي أو أهلي ماعدا النشاط الطبي الذي كان يمارسه المبشرون الأمريكان في العمارة حيث أرتبط التطبب في العراق بنشاط الإرساليات التبشيرية المختلفة حيث كانت الخدمات الطبية في طليعة الخدمات التي قدمتها الإرساليات التبشيرية التي وفدت إلى العراق ، إذ أدرك أعضاء هذه الإرساليات إن تحقيق مثل هذه الخدمات كفيل بتأمين الاحتكاك المباشر بالناس ، وبالتالي تأمين الوصول إلى الغايات التبشيرية لان الناس كانوا يوم ذاك ، بأمس الحاجة إلى مثل هذه الخدمات ، وكان المبشرون ينظرون إلى العمارة على أنها بقعة هامة ، فهي القاعدة التي يمكن الوصول من خلالها إلى عشرات القرى المنتشرة على ضفتي نهر دجلة شرق العراق وغربه.

بدأت الخدمات الطبية في مدينة العمارة في نهاية عام 1805 ، بعد إن قام رجال الإرسالية الأمريكية في البصرة بعدد من الرحلات الطبية إليها ، وقاموا بمعالجة الأهالي الذين كانوا يعانون من إمراض كثيرة خاصة الملاريا التي كانت منتشرة بسبب الاهوار والمستنقعات ومزارع الرز، وعمل الدكتور)وورال)WORRAL وعالج العديد من الحالات المرضية بنشاط في العمارة لمدة أربع سنوات 1895ـ 1898.لكن الحاجة الى العلاج كانت اكبر من طاقته بكثير، و لم تصبح الخدمات الطبية منظمة إلا (بعد إن افتتحت الإرسالية عيادة في العمارة سنة 9191 1 (، وأصبحت محطة العمارة فرعا تابعة لمحطة البصرة التبشيرية واخذ المرضى يذهبون من العمارة إلى البصرة للعلاج في مستشفى الإرسالية الأمريكية في البصرة ومستشفى)لانسنج التذكاري(.

إما في قضاء قلعة صالح كانت توجد الاخستخانة)بيت المرضى(، عبارة عن غرفة طينية يديرها موظف صحي تقع في محلة السليمانية في الجهة المقابلة لنهر دجلة، وقد أغلقت مع دخول قوات الاحتلال البريطاني للقضاء ، وكان هذا الموظف الصحي يوناني الأصل لم يكن طبيبا ، وتوجد لدية بعض الأدوية داخل غرفته الطينية و يعطي الناس منها وبعض الأدوية كانت خاصة للحمى أو الإسهال، وكانت حمى الملا ريا تنتشر بين الناس وكنا يسميها العامة)الرجافة(اذ يصاب المريض بارتجاف شديد تعقبه حرارة وتعرق ثم تنقطع لتعود في اليوم الثاني.

ومن الآثار السلبية للحرب العالمية الأولى على سكان لواء العمارة فقد أدت ظروف الحرب الى توقف

عمل الإرسالية الأمريكية وتوقفت الخدمات الطبية التي كانت تقدمها للسكان مما أدى إلى حرمان الأهالي من العناية الطبي.

إما في مرحلة الاحتلال البريطاني فقد أصبح واضحا إن دوائر قطاع الخدمات لم تحظ بالرعاية التي تستحق إلا بقدر تعلقها بمصالح البريطانيين وجيشهم المحتل، وعلى هذا أتى الاهتمام بالأمور الصحية كضرورة لإبقاء القوات البريطانية في منأى عن الإم ا رض لتواصل فعاليتها العسكرية بنشاط، فضلا عن المردود الاقتصادي المتوقع حصوله من وراء تقديم هذه الخدمات. حيث إن القوات البريطانية واجهت ظروف مناخية صعبة غير مألوفة لديها وكان ذلك سببا في ظهور العديد من الإصابات بين افرادها ، سببها ضربة الشمس وامراض سؤ التغذية ، يضاف إلى ذلك إن للمؤسسات الصحية تأثير سياسيا على الأهالي ، يخدم مساعيها ويؤدي إلى كسب رضا الأهلين في البلاد.

واهتمت قوات الاحتلال بالجانب الصحي من أجل سد حاجات الجيش البريطاني فقامت بفتح بعض المؤسسات الصحية في مدينة العمارة ، و في قلعة صالح وعلي الغربي ، ففي عام1916 أسست مستوصفا صحيا في قضاء قلعة صالح يديره الضابط الموجود في الحامية البريطانية مع جراح هندي مساعد له. والجدير بالذكر ان مستوصف قلعة صالح أنشئ قبل مستوصف العمارة لإغراض عسكرية بسبب تمركز القوات البريطانية في قلعة صالح ، وبعد المسافة بين قلعة صالح والقرنه البالغة حوالي 89 كم ، وهي تخلو من أي مستوصف ، وقد قام الشيخ)فالح الصهيود(شيخ عشيرة البو محمد في قلعة صالح بدفع 450 روبية كمشاركة لإنشاء المستوصف وتعهد بدفع مبلغ الأدوية للمستوصف نفسه وكان هدفه هو السماح لإفراد عشيرته بالمعالجة في المستوصف المذكور، إما مستوصف العمارة فقد أنشئ عام 1017 م وكلن يحتوي على عشرة أسرة ، وبلغ مجموع من رقد فيه خلال فترة الاحتلال تقريبا 81 مريضا وقد اشرف على هذه المستوصفات أطباء عسكريون بريطانيون ويساعدهم في عملهم بعض الأطباء والمضمدين الهنود ، وقد اقبل الناس على المستوصفات ، غير إن هذين المستوصفين ظلتا تشكوان من قلة العاملين فيها وضعف كفاءتهم ، فضلا عن النقص في الوسائل الطبية اللازمة للعلاج (، كما انها افتتحت في مستوصف العمارة عيادة خارجية ، وكانت من أكثر الأقسام تعاملا يوميا مع السكانغير إن عدد المواطنين الذين يرا جعون هذه المستوصفات تناقص منذ ربيع سنة 1917 م بعد إن فرضت سلطات الاحتلال ضريبة نقدية على الدواء والعلاج فيها، وكانت تتراوح

بين)ثمان أنات – روبية(وذلك لتقليل عدد المعالجين في العيادة ، وهنا لابد من الإشارة إلى إن

سلطات الاحتلال مارست نوعا من التمييز فيما يتعلق بمعالجة المرضى في المستوصفات والمستشفيات

البريطانية وتمثل ذلك بتقديم الأجانب على العراقيين في المعالجة الطبية كما كانت تفضل البريطانيين

على غيرهم من الأوربيين والهنود.

وعندما اجتاح مرض الملاريا قضاء قلعة صالح في عام 9196 قام طبيب المستوصف باسقاء الأهالي في قلعة صالح بمادة) الكنين(، والذي يعرف محليا ب)قنقينه(، إلا انه لم يحد من انتشار المرض، كما تفشى في نفس السنة وباء الطاعون في قضاء قلعة صالح ، فقامت السلطات الصحية بتطعيم الأهالي وأمرتهم بمغادرة مساكنهم والسكن في البساتين، إلا إن الكثير من أهالي المدينة رفضوا التطعيم أو مغادرة مساكنهم.

وعلى العموم كان الواقع الصحي في العراق بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كما وصفة الدكتور

حنا خياط) بقوله:)كانت الأرض خالية خاوية ، فالأطباء لا يتجاوزون عدد الأصابع ، ودور التمريض

اقتصدت اسميا سبعين سريرا في الحواضر الثلاث الكبرى) بغداد، الموصل، البصرة (ولا اثر لمستوصف

أو مختبر أو أي معهد علمي ما والأمراض الوبائية تسرح وتمرح في القطر طولا وعرضا ، والامراض

المتوطنة ، اتخذت منه ملاجئ ومستملكات ومواطن دون مقاومه فلم تشذ منة قرية او قبيلة ، ولم ينج منه نجد او سهل).

م. ابحاث ميسان 2012

حوادث تاريخية أمام الطب العدلي
من شهادات أشهر أطباء الطب العدلي

د. اكرم عبد الرزاق المشهداني

يعد الطب العدلي في العراق من أقدم أجهزة الطب الشرعي في الوطن العربي والمنطقة وكان وما زال لخبرائه وأطبائه المرموقين دور بارز في إسناد أجهزة العدالة وكشف غموض الحوادث وتقديم الخبرة والمشورة الطبية الجنائية ونذكر منهم بالإجلال والاحترام المرحوم الدكتور حنا خياط والمرحوم الدكتور أحمد عزت القيسي والمرحوم الدكتور وصفي محمد، والمرحوم الدكتور خالد عبدالرحمن الزبيدي والصديق العزيز الدكتور فائق منير بكر ومن جاء بعدهم من الأطباء العدليين العراقيين. وقد كان (معهد الطب العدلي) في العراق عند تأسيسه أوائل العشرينات مرتبطا بمديرية الشرطة العامة في وزارة الداخلية، وبعد سنوات تم ربطه بوزارة العدل، بعدها تم ربطه بوزارة الصحة.

الطب العدلي ومصرع الملك غازي:

يروي الدكتور جلال حمدي فيقول: (تخرجت من الكلية الطبية وكنت يومها خفراً في المستشفى الملكي، وحوالي الساعة (12) ليلا استلمت مخابرة من الاستاذ صائب شوكت وكان مديراً للمستشفى طالبا مني وبسرعة تحضير ادوية ذكرها لي، وذلك لحادث خطر حصل للملك وهو بسيارته، وجاءت سيارة ملكية تنقلني بسرعة شديدة للقصر الملكي، وفي طريقي رأيت الحادث والسيارة وهي مرتطمة بعمود من الكهرباء معوج. فلما وصلت الى القصر واجهتني والدته وهي تبكي بحرقة قائلة "اسرع فان اخاك مصاب"، فلما رايته قبل قدوم باقي الاطباء كان فاقداً الوعي ورأسه مُدمى، وفيه كسر في مقدمة الرأس، وحالته خطرة او ميئوس منها.. وعند ذلك حضر كل من الدكتور صائب شوكت والدكتور سندرسن والدكتور ابراهام. وعند الفحص الكامل قرّروا ان الحالة ميئوس منها، وفعلا توفي بعد مدة قصيرة. فانتقلوا الى غرفة جلوس الملك واخذ سندرسن ورقة وكتب تقريرا ليذاع على الشعب، وكان كما يلي:

((ننعي بمزيد من الأسى والاسف وفاة صاحب الجلالة على اثر اصطدامه بعمود كهرباء)). وقد كتبه طبعا بالإنكليزية وطلب مني ترجمته فلما انتهيت من ترجمته قلت لسندرسن: لا يصح ان ننشر هذا التقرير من قبلنا بل من قبل الحكومة، ويجب ان يكون تقريرنا وصف حالة الملك عند رؤيتنا له ووصف حالة الكسر وسبب الوفاة.. ولكن الدكتور سندرسن رفض واصر على التقرير الذي كتبه.. وكان في وقتها طبيبا حديث التخرج، واصر على ذلك الدكتور / صائب شوكت، وفعلا وضع التقرير من قبلهم. وفي صباح اليوم التالي اعترض على هذا التقرير كثير من الاطباء وكذلك رئيس شعبة الطب العدلي، وفعلا تم نقل جثة الملك من القصر الى البلاط وفحصت اللجنة الطبية مضافا اليها الدكتور / احمد عزت القيسي والدكتور/ صبيح الوهبي، واعيد الفحص عليه من قبل هذه اللجنة ووضع تقريرا اصولياً عن الحادث.

ويضيف الدكتور جلال حمدي:

(يعتقد جميع العراقيين تقريباً ان الملك غازي قد قتل، ولكن للتاريخ نقول ان حادثة الاصطدام كانت قضاءً وقدراً، رغم ان الملك كان مكروها من قبل الانكليز وحتى والدته كانت تعتقد يقيناً أن الحادثة دبرت من قبل الانكليز، وتاكد لي ذلك عند دخول الدكتور سندرسن بصحبته الى الغرفة التي كان نساء القصر فيها ينوي معالجة من يحتاج للعلاج منهن فكانت والدته تصرخ وتقول ان لا يقترب منهن، بل يبقى جلال معهم فقط حتى الصباح. وفعلا شعر الدكتور سندرسن بذلك وترك القصر. وفعلا بقيت معهم حتى صباح اليوم التالي ثم ذهبت الى المستشفى الملكي لأداء اشغالي المعتادة).

ويواصل الدكتور جلال حمدي حديثه فيقول:

((اما ما قرأناه في الجرائد بعد الحادث وما صرح به المؤرخون فلا صحة له (حسب اعتقاده) وكان الملك منذ حدوث الحادثة وحتى وفاته فاقد الوعي ولم يتكلم بأية كلمة قطعا، وللمرة الثانية اقول ان حادثة موت الملك كانت قضاءً وقدرا ولو انه كان غير محبوب او مقبول من قبل الانكليز ولراحة ضميري اذكر ذلك. وعلى كل حال فان مقتل الملك غازي رحمه الله بقي موضع خلاف وجدل بين كل العراقيين والعرب والغالبية تعتقد أنه كان قضاء وقدرا.

الطب العدلي ومصرع العائلة المالكة 14 تموز 1958

تذكر المصادر ان جثث كل من الملك فيصل الثاني والامير عبدالاله ومن قتل معهما في الهجوم على قصر الرحاب ارسلت حسب القانون الى معهد الطب العدلي للفحص، وكالطريقة المتبعة في ارسال المجنى عليهم في الحوادث الجنائية الى الطب العدلي للفحص وتقرير سبب الوفاة، وقيل ان الزعيم الركن عبدالكريم قاسم انتقل من مقره بوزارة الدفاع الى بناية الطب العدلي القريبة من الدفاع ليتاكد من وصول الجثث ونتيجة الفحص وللتاكد من وفاة الملك الشاب وولي العهد، وحين تاكد من ذلك خرج عائدا للدفاع وكانت الناس قد تجمهرت عند بناية الطب العدلي لتحيته.

يذكر الدكتور وصفي محمد علي أشهر أطباء معهد الطب العدلي في بغداد:

لقد عاصرت في حياتي احداث كثيرة منها مقتل الملك غازي واقول بايجاز ان بعض وقائع القتل التي اسميها بالقتل السياسي ان صح التعبير كانت لا ترسل الى هذا المعهد من قبل السلطة القضائية للفحص اسوة بغيره وهو ما حدث لجثة الملك غازي وكذلك بالنسبة لجثة رستم حيدر وزير المالية الاسبق، وكان يحصل بعض الضغط على القائمين بأعمال المعهد في مثل هذه الوقائع كما حدث في الوقائع التي ارسلت الينا اثر الانتفاضة الشعبية على معاهدة بورتسموث في سنة 1948 حيث حضر قاضي التحقيق وكنت انا والدكتور جهاد شاهين كمساعد لي نقوم بفحص جثث الشهداء وقد استفسر مني عن السلاح الناري المستعمل فأجبته بعثورنا على مقذوفات نارية مطلقة ببندقية حربية من عيار 303 اي من نوع الاسلحة الاميركية، فعاد ثانية الى المعهد طالبا مني عدم ذكرها في التقرير، فرفضت ذلك، واوضحت له واقول هذا من باب ذكر الواقع لا التبجح، والله على ما اقول شهيد فانصرف، ثم اتصل بي رئيس ديوان مجلس الوزراء طالبا نفس الامر، فرفضت، واخيرا كلمني وكيل رئيس الوزراء وقتذاك بلهجة غير مستساغة، قائلا ان ذكر ذلك سيحرج موقف الحكومة فأجبته باننا كأطباء عدليين نذكر الحقيقة التي نشاهدها باعيننا!!، وبعد الحاح مستمر يشوبه التهديد اجبته باننا نذكر الحقيقة.

وحادثة اخرى حصلت لي في سجن الكوت عندما انتدبت لفحص سجين قتيل اختلف على نوع الالة التي ادت الى وفاته وهل هي اطلاقة من سلاح حربي ام انفجار قنبلة محلية من نوع مولوتوف قام بصنعها بعض السجناء وقد اتضح لي ان الموت كان بسبب مقذوف من بندقية حربية.

عن بحث (مسيرة الطب العدلي وروّاده في العراقودوره في كشف الجريمة)

العدد (5153) السنة التاسعة عشرة
الاثنين (28) آذار 2022
www.almadasupplementscom

من ذكريات مدينة النجف في ثلاثينيات القرن الماضي

جـعـفـر الـخـيـاط

في 1937 زارت النجف الكاتبة الإنكليزية القديرة، والموظفة في الاستخبارات البريطانية، المس (فرايا ستارك) وبقيت فيها اسبوعاً واحداً ضيفاً على القائمقام الذي أنزلها في جناح الضيافة الموجود في نادي الموظفين. وقد كتبت فصلا خاصاً عن النجف ضمنته ملاحظاتها عنها في كتابها الموسوم (صور بغدادية).

وتبدأ ملاحظاتها بما شاهدته في الكوفة. فهي تستهل الفصل بوصف جلسة مسائية على شاطىء الفرات، مع رئيس البلدية وسبعة من «الأفندية». وكان ذلك في أوائل ربيع الأول بعد أن انتهى صفر، الشهر الثاني من شهري الحزن المعتادين في كل سنة، ولذلك تقول إنها شاهدت وهي جالسة من بعيد شعلات من النار طافية في النهر، وقد كانت تنساب منحدرة مع تياره حتى تختفي. وترمي هذه في النهر في نهاية موسم العزاء (نهاية شهر صفر) لتأخذ معها أحزان السنة وتفرج الكربة عن الناس. وهذه على ما تقول عادة قديمة ترجع بقدمها إلى تاريخ هذه البلاد العريق في القدم. ثم تشير بالمناسبة إلى أن «الأفندية» الذين شاهدوا معها النار الطافية، لمحوا هلال الشهر الجديد (هلال ربيع الأول) وأخذ كلٌ منهم يتمنى الخير والموفقية لصاحبه من دون أن يشعروا بأن ما فعلوه يعتبر من قبيل عبادة القمر أو التبرك به. وليس من المستغرب أن يحصل مثل هذا، فتبقى هذه الوثنية، في بلاد لا تبعد كثيراً عن قبر «الكفل» و «برج بابل» اللذين يدلان على ذلك العالم الغابر.

ولكن المرء حينما يعبر جسر الكوفة المستند على الزوارق ينتقل من العالم البابلي إلى عالم الإسلام على حد تعبيرها. وهي ترى ان الحيرة توجد مدفونة تحت الرمال ما بين النجف والكوفة، وان التلال الرملية المحيطة بالكوفة تحوي في باطنها خرائب كوفة العرب الفاتحين الأولى. وبعد أن تشير (فرايا ستارك) إلى جامع الكوفة الكبير وغيره من عالم البلد تقول ان (قصر الإمارة) هدمه عبدالملك بن مروان الأموي، لأنه بينما كان جالساً فيه ذات يوم سمع عجوزاً من الأعراب يقول «ستكون الخامس». وحينما سأل عما كان يقوله هذا أجابه يقول: «عندما جئت لأول مرة إلى الكوفة رأيت رأس الحسين (عليه السلام) بين يدي قاتله عبيدالله هنا. فذهبت وعدت ثانية إليها بعد مدة فشاهدت رأس عبيدالله في نفس المكان بين يدي المختار بن يوسف الذي قتله. وبعد أن خرجت منها وعدت مرة أخرى ألفيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير. ثم ذهبت فعدت هذه المرة، وها إني أرى الآن بين يديك رأس مصعب». ولذلك خرج عبدالملك من الكوفة وأمر بهدم قصر الإمارة الذي تشاهد خرائبه الآن بجنب دار الإمام (عليه السلام).

وقد كان الإمام عليّ هنا يعمل للخير ويتمسك بالأمور المثلى على حد تعبيرها، فأفنى نفسه وهو مريض الفؤاد ما بين أهل الكوفة المتلونين. وعلى مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جعجع ابنه الحسين إلى جهة البادية وظل يتجول حتى نزل في كربلا، فقتل قتلة فظيعة مع أهل بيته بعد أن منع عنهم الماء. وقصة قتله هذه من القصص القليلة التي تقول (فرايا ستارك) إنها لا تستطيع قراءتها من دون أن ينتابها البكاء. وتقول أيضاً ان التاريخ قد توقف في كربلا والنجف منذ يوم مقتله ذاك، لأن الناس أخذوا يعيشون فيهما على ذكرى الكراهية لأعداء الحسين.

وقد أخذت النجف محل الكوفة، على ماترى. ومع ان سكانها قد استقروا وتمدنوا فإنها لا تزال تعد من مدن البادية، المحاطة بسور خاص ترتفع هي في داخله فوق هضبة واطئة من الأرض كأنها تاج يعلوه ذهب القبة المتلألىء. وما زال بدة عنزة وشمر يقصدونها من رمال النفوذ البعيدة للتزود منها، بينما تسلك السيارات الطريق الممتدة منها إلى مكة، وهي طريق الحج المسماة بإسم زبيدة ويرتفع (بفرايا ستارك) الخيال فيخترق نظرها الأفق البعيد مع الطريق التي تتضح معالمها لعيون الايمان على حد تعبيرها، ولذلك نجدها تقول ان المرء لا يسعه سوى أن ينحني خاشعاً أمام زهد الإنسان وورعه وتعجب كيف ان الساسة الانكليز يعتقدون بأنهم يستطيعون السيطرة على قلوب الناس بالوسائل المادية وحدها.

وقد دبر القائمقام لها مواجهة العلاّمة الأكبر الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، الذي كان آباؤه لخمسة أظهر من زعماء الدين ولما كانت زيارتها للشيخ وهي امرأة شيئاً يلفت النظر، فقد دبرت الزيارة في أقل الأوقات تعرضاً لأنظار الناس. فجاء الشيخ هادي، نسّاخ الكتب، ليلقي نظرة عليها أولا، وبعد أن بعث أخبارا مناسبة عنها قادها مع خادمها خلال طرق ودرابين متعرجة إلى دار غير كبيرة يعيش فيها الشيخ مع أهله عيشة بسيطة كما كان يعيش المسلمون الأقدمون من قبل. وبعد أن تأتي على وصف الشيخ. الذي كانت لحيته مخضبة بالحناء .ووقاره وذكائه تقول إنها فهمت من حديثها معه بأنه كان يعرف (المس بيل) والسر (بيرسي كوكس)، ويعتبر الذين جاءوا بعدهما من الانكليز أقل منهما شخصية وقدراً. وحينما تطرق إلى الحديث معها عن العالم الشرقي، أخبرها برأيه عن بريطانيا والإسلام بقوله «إنه لا يوجد الآن بيننا وبين الانكليز سوى الصداقة لولا الأخطاء التي ارتكبت ضد إخواننا العرب في فلسطين. وما زالت هذه الظلامة موجودة فإننا لا يمكن أن تحل المحبة ولا السلام بيننا من البحر المتوسط إلى الهند. وأمل أن تبيني هذا إلى حكومتك، وتقولي لهم ان ما يلعبون به هناك هو ليس أراضي فلسطين وحدها، وإنما يلعبون بالعالم الإسلامي كله الذي يقدر بنصف امبراطوريتهم ويتشوقون إلى الابقاء على صداقته لهم».

ولما كان رأيه هذا يتفق تمام الاتفاق مع رأيها هي في هذه المسألة الدقيقة كان يسرها أن تعد الشيخ بأن تبذل جهدها في نقله أمانة إلى الجهات المختصة.

ثم زارت بعض المدارس، ومعالم البلدة الأخرى، بما فيها (المغتسل) الذي كان يقوم بتغسيل الموتى فيه رجل واخته بسعر زهيد للجثة الواحدة. وقد تجولت ما بين القبور في بعض الأمسيات كذلك، وأمضت أمسية واحدة منها في التفرج على ما يجري عند الباب الكبير المؤدي إلى الصحن فكانت من أجمل الأمسيات التي قضتها في حياتها كلها. وكان ذلك من غرفة تعود للشرطة وتطل شبابيكها على باب الصحن وقسم من السوق. وبعد أن تصف ما شاهدته هناك وفي الداخل تقول إنها خرجت تقطع السوق الذي امتلأ بالأضوية، وهي تشعر بحبها للعالم بأجمعه. وبينما هي كذلك لاحظت في دكان بائع أحذية رجلا كان يرمقها بنظرات شزراء ممتلئة بالحقد والكراهية، فتأثرت أشد التأثر لأنها يحز في نفسها أن يكرهها أحد من دون سبب. وهي تقول: «ان ذلك الرجل لو كان بوسعه أن يخترق جسمها الانكليزي بنظره إلى أعماق قلبها لوجد ان ما كان يمتلىء به هو الاحترام الودي لعتبته المقدسة بالذات التي تعلو أرواح الناس كما تعلو قبة النجف المذهبة فوق افق البادية، فتجذبهم إليها من بعيد» وتنهي الفصل بوصف جماعة من فقراء الأفغان كانوا يعيشون على الكفاف، ويحصلون على قوتهم من حياكة بيوت الشعر، ثم ينتزع كلٌ منهم فلساً واحداً من وارده الشحيح بين حين وآخر فيعطيه للاتفاق على العتبة. وتعلق على ذلك بكل إكبار وإجلال قائلة: «من نكون نحن لننتقد عقيدة تعطي مثل هذا المقدار ياترى؟».

عن موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم النجف ، ج

العدد (5153) السنة التاسعة عشرة
الاثنين (28) آذار 2022
www.almadasupplementscom

مذكرات الجنرال طاوزند

احتلال البصرة والعمارة وكوت الإمارة

سنحتل العراق أغنى منابت القمح في الدنيا !

بقلم - إيمان البستاني

يفتتح الجنرال البريطاني المسمى عند الاتراك بطاوزند و هو تحريف لأسمه الحقيقي (شارلز ڤير فريزر تاونسند) مذكراته العسكرية اليومية في العراق بالعديد من المصطلحات القتالية و العسكرية استنبطها من تاريخ نابليون الكبير في حل كل معضلة من معضلات التعبئة وسوق الجيش يعضدها سرد كثير من الامثلة والتطبيقات عن المعارك التي شهدتها القارة الاوربية وخاضتها الجيوش الغربية الحديثة واسباب إخفاقاتهم او نصرهم، ما ان تمر عليها حتى يصبح لديك مفهومًا ما يشير اليه طاوزند في ثنايا الكتاب الضخم ذو (٦٥٠) صفحة الصادر من منشورات الدار العربية للموسوعات لعام ٢٠١٩ تتصدره كلمة الناشر و مقدمة اللواء الركن (حامد احمد الورد) تليها مقدمة الجنرال طاوزند كتبها بتاريخ ٦ / آب ١٩١٩.

تاونسند او طاوزند ضابط بريطاني نشأ فقيرًا ابن لموظف سكك حديدية، جد والده هو المشير (جورج تاونسند) سليل التاريخ العسكري المشرف، تخرج من الكلية الملكية العسكرية في (ساندهيرست) وحصل على منصب ضابط في قوات المشاة البحرية الملكية في عام ١٨٨١م ، كان معر من احتلت الفاو بعد ان وصلت للبر وغرق الكثير من جنودها جراء شحة القوارب، مع اول هجوم لقوات باريت انسحبوا الاتراك من البصرة ودخلها (باريت) مستخدمًا قوارب تعود ملكيتها للأهالي وبعدها زحف للقرنة شمالا اهم المواقع الحربية في العراق وتبعد (٤٠) ميلاً شمال البصرة.

وفًا في شبابه بأنه رجل مولعًا بالنساء يمتاز بجمال مظهره وكان معروفًا أيضاً بأسلوبه المسرحي، اول معركة له واول مرة قتل فيها رجلاً كانت (معركة ابو كليع) في ١٨٨٥ في السودان، يصفه زملائه بأنه متغطرس ومندفع وطموحه لا حد له بالرغم من شجاعته البدنية لكنه لا يواجه خصومه، اما المؤرخ البريطاني (جيفري ريجان) فقد قال عنه بأنه ضابط شاب ذكائه وقدراته العالية بسبب هوسه الأناني.

بعد السودان خدم في شمال باكستان ثم انتقل الى الجيش البريطاني المصري وعاد يحارب في (أم درمان) ثانية كما خدم في جنوب افريقيا ثم أصبح ملحقًا عسكريًا في باريس وكان شغوفًا بها لغةً و بلدًا، كان يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة وقد تزوج بعد قصة حب نشأت في القاهرة بمصر جمعته بابنة (لويس رافائيل كاهين) ثري يهودي فرنسي يعمل في مجال المصارف سانده في قضية استرجاع قصره في نورفولك، ولزوجة طاوزند (أليس) لوحة بورتريه شهيرة لها ولشقيقتها وهما بعمر الطفولة رسمها الرسام الفرنسي الشهير (رينوار) عنوانها (ازرق و وردي) اشارة الى لون ثيابهما، وقد رزقا طاوزند وأليس بابنة واحدة انجبت له حفيد اشتغل في الصحافة.

تبوأ طاوزند منصب مساعد القائد العام للفرقة التاسعة في الهند و قائد مستعمرة (نهر اورانج) في جنوب افريقيا ومن رتبة عميد الى لواء تم تعيينه في قيادة الفرقة الهندية السادسة وكانت قوة عسكرية كبيرة واحدة من أفضل الوحدات العسكرية للجيش الهندي رغم أنها كانت غير مجهزة وفقًا لمعايير الجيش البريطاني النظامي و تلك القوة تم ارسالها للعراق لإحتلاله.

عندما توجهت بريطانيا للعراق اعتاب سنة ١٩١٤ بعثت بقادتها العسكريين وجنودها من الهند من بومبي و كراجي وارسلتهم على متن بواخر بريد ينقصهم العتاد والذخيرة، ارتكبوا اخطاء لا تغتفر حسب اعترافاتهم، لكن الحظ وحده شفع لهم ونزلوا في (الفاو) تلك البقعة جليلة الشأن عسكريًا وكان اول المحتلين القائد (باريت) مع الفرقة السادسة المسماة (فرقة بونة) هي ولاعتلال صحة (باريت) تم استبداله بالجنرال (طاوزند) صاحب المذكرات وفيها يذكر انه تسلم برقية من وزير الحربية في نيسان /١٩١٥ للالتحاق بالحملة البريطانية على العراق، تحرك طاوزند من كراجي بحرًا و استغرقت رحلته (٥) ايام على متن باخرة بريد اسمها (دّوراكة) وهو على سطحها كتب: " سنحتل العراق أغنى منابت القمح في الدنيا " وصل البصرة ظهرًا يوم ٢٣ نيسان وكان الحر شديدًا يقول: "وجدت البصرة اكثر حرارة من الكويت ! «.

نزل طاوزند في البصرة في دار تم تخصيصها له عائدة لتاجر يوناني أسمه (المستر انتيباس) وصفه بأنه رجل في غاية اللطف والكرم، اما اركان جيشه فنزلوا في المنزل المجاور لمنزله على ضفة العشار. توجه طاوزند ما ان استقر في البصرة الى (السير جون نيكسون) قائد الحملة العراقية في دار القنصلية البريطانية وأبلغه بمهامه في احتلال القرنة و العمارة.

طاوزند واجه منذ البداية مشكلة الاقتصاد في القوات وقال لو كان نابليون مكاني لخسر الحرب حتمًا !. كانت كل قوته الحربية لا تتعدى ١٠ آلاف مقاتل بكافة صنوفهم، في البصرة استخدم طاوزند (البلام) وهي قوارب عراقية صغيرة ذات مجاذيف واتفقوا على تصفيحها بأتراس وكان دجلة مائه قد بدأ في الازدياد، النهر الذي وقف ضد الانكليز في حملتهم، ينخفض منسوب مياهه فيجعل سير سفنهم صعبًا و يفيض فيصبح حال جنودهم أصعب لغرق خنادقهم، قال عنه طاوزند: " لم اخل ان في الدنيا نهرًا يضاهي نهر دجلة في تمعجاته».

المعضلة الاخرى كان التصيد جاريًا في الليل اذ كان العراقيون يدنون من معسكر الانكليز ويطلقون النار عليهم، الضابط البريطاني الذي تم تكليفه بالتنسيق بين الانكليز والعشائر العراقية هو (ليجمان) ذاته الذي قتل لاحقًا على يد الشيخ ضاري المحمود وكان اول لقائه بطاوزند مهمته بإن يطوف بين شيوخ شمر وعنزة و رجع بيقين ان ولاء القبائل سيكون للترك.

صيف العراق و ما أدراك به، فقد وصفه طاوزند: " حر العراق مرعب ولا صفة لدي غير هذه أصف بها ! " وكان السبب في اصابة الكثيرين بالرعن (ضربة شمس) حيث كانت تمتلأ مستشفيات البصرة و بومبي بهم، و لا ننسى عدواً أخر هو شر الالغام التي بلغهم ان الاتراك يبثوها في النهر، كما ان الاتراك قد منحتهم الطبيعة سيقانا قوية في المشي ولا يجاريهم اي جندي في العالم اذا كانوا معتصمين في الخنادق على حد وصف طاوزند.

اما الجنود الهنود في القوات البريطانية فقد وقعوا في منتصف لعبة الحرب، الهنود من المسلمين كانوا ينحازون للجنود الترك وكثير منهم كانوا يهربون وسط المعركة ويلجأون للقوات التركية اذا حالفهم الحظ في الوصول احياء دون تلقي رصاصة من الخلف لمنعهم، والسيخ والهندوس كانت معاناتهم اكبر حين حل الحصار في كوت الامارة وصار الجوع سيداً اجبر الجميع على اكل لحوم الخيل وهذا ما يأنفه الهندي مما اضطر طاوزند لطلب فتاوي من زعمائهم الدينيين تبيح لهم كاستثناءات حرب من اكل لحوم الخيل و البغال لكون عقوبة ذلك هو ما يلقاه الجندي عند عودته لقريته حيث لا احد يتزوج من بناته و لا يحسب له حساب إن تجاوز على عقائده او تقاليده.

وصل (قلعة صالح) وكانت بحجم (القرنة) جاء شيخها الى باخرة طاوزند (كومت) وأمره طاوزند ان يعد له ولجيشه ارزاقا تكفي خمسة عشر الف جندي وسيدفع له ثمنها، و قد قام طاوزند بهذه الخدعة في المبالغة بعدد قواته لإخافة خصمه بناء على ما يعلمه من امر العرب اذ لابد انهم سيبلغون الترك ما طلبه منهم حتى لو ارسلوا رسول على ظهر بعير !.

صباح ٣ حزيران١٩١٥ فجرًا وصلت قوات طاوزند (السدرة) وهي على بعد اثني عشر ميلا من العمارة وارتأى ان ينتظر لأنه من المحتمل ان يدافع الترك عن البلدة، لكنه تقدم بعد تريث ساعة على ان يجرب حظه فدخل العمارة ظهرًا، وصل قبالة دائرة (الجمرك) فأتى الى مركبه (حليم بك) قائد القوة التركية في وقعة القرنة و (عاصم بك) متصرف العمارة و ثلاثة او اربعة زعماء معهم ثلاثون او اربعون ضابطًا ليسلموا انفسهم، ولم يكن مع طاوزند سوى خمسة و عشرين ملاحًا و جنديًا بريطانيا!.

مثل طاوزند دورًا مع متصرف العمارة لإيهام الترك بقوته وإخفاء ضعفه فطلب منه ارزاقًا لقوة مؤلفة من خمسة عشر الف جندي ستصل العمارة بعد وقت قصير، فأجاب ان لديه كميات كبيرة من (البسكويت) فقبل (البسكويت) متذمراً ! ولكنه الح عليه بجمع الأغنام للجيش بلا امهال !.

في صباح اليوم التالي استولى العرب القاطنون بلدة العمارة على منازل الضباط الاتراك و مستودعات الطعام ثم شرعوا في نهب المستشفى الكبير وكانوا يبدون كالنمل حاملين الأثاث و الطنافس والاسرة والاحرامات عندها أمر طاوزند بإطلاق النار فسقط منهم اربعة او خمسة اشخاص فهدأت الامور على ساحل النهر لكن صوت اطلاق النار اشتد داخل المدينة و سرعان ما علم العرب ان عدد قوات طاوزند قليلة وهو بالكاد لا يتمكن من انزال جندي الى البر لاسيما و معه سبعمائة او ثمانمائة اسير يتحتم عليه حراستهم وهو على هذا الإحراج وصل الفريق نيكسون واركان حرب المقر وبهذا كتب لطاوزند النصر من غير خسارة ولو تأخر نكسون ساعتين لأنقض الاتراك عليهم.

كان نورالدين بك القائد التركي الجديد قد وصل قادمًا من الإستانة وشاع انه قائد عصري ومهما بلغت مقدرته على القيادة لن يستطع القيام بهجوم قرب العمارة بالقوات المتيسرة له. كان عرب العمارة يضمرون العداء للأنكليز والمسالمة للترك لذا لم يستحسن طاوزند سكن جنوده في شوارع البلدة وأزقتها الضيقة. طلب ارزاقاً احتياطية لمدة ستة اشهر لخزنها في العمارة وعتاد ومدافع وبنادق، اذا زحف نورالدين و طاوزند في العمارة عليه لابد من القيام بالتعرض له على مسيرة يوم منه، فكان عليه المدافعة عن العمارة بقوته الصغرى على ضفة النهر بينما قوته الكبرى تتولى الهجوم على فرقة نورالدين بك. نالت هذه الخطة موافقة نيكسون قائد الحملة العراقية ماعدا ان له رأيًا في ان القوة الصغيرة في العمارة محتمل ان تنال أذى البلدة وساكنيها، و موضع القوة الكبرى ارتأى ان تكون في الأبنية وليس الخيام، والأرزاق يتم طلبها لمدة ستة اسابيع ليس اكثر على ان تعاود الطلب ان لزم الأمر.

عاد نيكسون للبصرة لغرض دراسة واعداد المعدات للاستيلاء على الناصرية، خرج طاوزند بسفرة استكشاف

العدد (5153) السنة التاسعة عشرة
الاثنين (28) آذار 2022
www.almadasupplementscom

صفحة من تاريخ البصرة والمنتفق

من رحلة للمستر توماس هوويل البريطاني سنة ١٧٨٨م

يعقوب نعوم سركيس

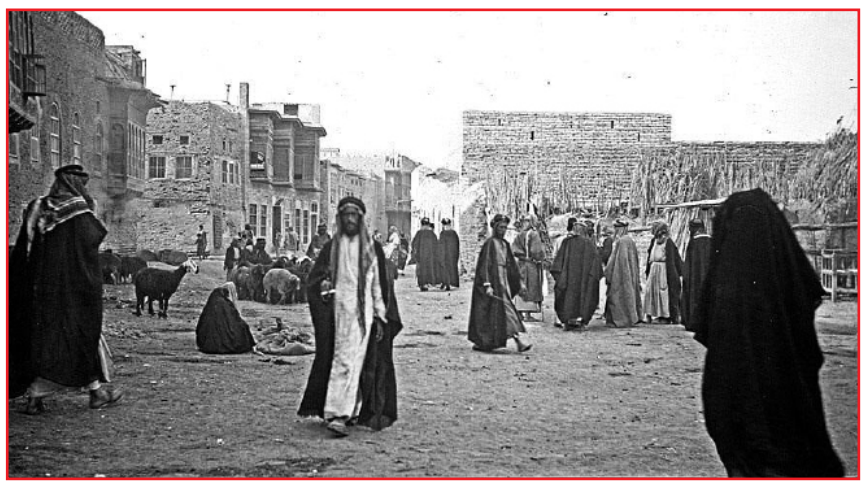

للتاريخ نفع لا يجهله الكثيرون ولذة لمن لهم ميل إلى الوقوف على أخبار من سلف. وأهم غايات التاريخ الانتفاع من التجارب التي سجلتها الأيام المطوية على صحائفها الخالدة. ويقضي الواجب علة المؤرخ أن ينتقي صدق الروايات مما دونه كتبة الوقائع مميزا منها الغيث من السمين. ولا مشاحة في أن هؤلاء المدونين يختلفون في أذواقهم ومشاربهم وآرائهم فمنهم من يسيطر على قلمه فيملي عليه ما تهواه نفسه غير مكترث للحق ومنهم من يكتب ما يوحيه إليه ضميره وهو على غير هدى ومنهم من لا يسطر شيئا إلا قد تروى مليا في الأمر وتبصر فيه وسبر غوره فيتوخى الواقع غير هياب ولا وجل.

إن مصادر تاريخ العراق للقرن الثامن عشر قليلة فرأيت أن أضيف إليها تعريب صفحة جاءت تنبئنا عن حالة البصرة في إحدى سني الربع الأخير من ذلك القرن الغابر حينما استولى عليها ثويني العبد الله المعروف ب (أبي قريحة) (بالتصغير والتأنيث) تاركا للمؤرخ المنصف أن يتحرى اصدق المآخذ مؤيدا رأي هذا ومزيفا فكر ذاك وهو ما يطلبه التاريخ الحق.

وقبل أن أقدم على التعريب لا بد لي من إبداء كلمات وجيزة للتعريف بزعيم المنتفق الشيخ ثويني العبد الله المحمد المانع. ومحمد هذا هو أبو سعدون الذي تعرف به اليوم الحمولة السعدونية الشهيرة التي كان آباؤها يسمون بِ (آل شبيب) قبل عصرسعدون ونبوغه. وما شبيب إلا أحد الجدود الاعلين ذوي الشرف الباذخ والسؤدد العزيز. فثويني إذن هو من آل شبيب وهو ابن أخي سعدون. وقد ابتدأت زعامته للمرة الأولى سنة 1193هـ 1779م على اثر قتل الخزاعل (خزاعة) ثامر ابن عمه سعدون وليست تسمية آل شبيب بغريبة عنا بل هي معروفة في عهدنا هذا أيضاً وهي تطلق على أقرباء آل سعدون الذين يمتون إليهم بشبيب.

وبعد هذا التمهيد أعود إلى صاحب الرحلة وهو من موظفي شركة الهند الشرقية وكان في البصرة في شباط سنة 1788م ، أي بعد الواقعة ببضعة أشهر فقط. وقد قال ما تعريبه:

لم تبق تجارة البصرة زاهية كما كانت عليه قبلا لكنها لا تزال المخزن التجاري الأهم في هذه الأصقاع فيثري التاجر فيها وأما حاكمها فهو تركي وسكانها عرب وقد توطنتها أسر تركية وأرمنية.

وكان الشيخ ثويني – الشيخ العربي القدير – قد استولى على هذه الحاضرة في سنة 1787م (1202هـ) بتدابيره الصائبة ففاجأ حاميتها واحتل المدينة بدون مقاومة. والأمر الذي يجب توجيه النظر إليه إنه لم يصب إذ ذاك أحد من سكانها بإهانة ولم يتجاوز أحد على مال لأحدهم. ولم يطلب الشيخ من سكانها غرامة حربية. وبعد إن استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا يشوبه ما يخل به فكأنه لم يقع هناك حادث يفوق العادة.

إن الشعوب الممعنة في المدينة والعلم لتغبط هذه الحالة الداعية إلى الشرف وهي ترينا أنه مع ما عليه الأعراب من ميلهم إلى السلب والنهب فإن لهم أنظمة ودساتير تبعث بهم إلى حب السلام رائدها الطاعة القصوى لرئيسهم وهو روح النظام العسكري. أما الشيخ فهو كهل شجاع باسل ذو إقدام على العمل قل من يفوقه وهو عزيز لدى وطنييه لحسن تبصره في الأمور وتوقد ذهنه وجنوحه إلى جانب الحق ولاعتداله الذي يتمشى عليه في شؤون إمارته ولقد جعلته هذه الصفات محترما عند الناس كافة.

دام حكم الشيخ في البصرة ثلاثة أشهر ثم علم أن باشا بغداد – وهو متبوع الشيخ في تأدية الضريبة – كان قد قدم لمحاربته بجيش قوامه ستة آلاف جندي فجمع الشيخ قواه واتجه بها إلى شواطئ الفرات ليقابل عدوه فالتقى الجيشان هناك على بعد من البصرة واشتبك القتال واستمر بين الفريقين ولم تنجل النتيجة الحاسمة بادئ بدء بل باتت أخيرا بجانب الأتراك وانفل العرب ففر الشيخ البائس يتبعه بعض ذويه وقد نجوا من ملحمة النهار. ثم خطب الشيخ ود الباشا مستميلا إياه وطلب إليه المعذرة عما صدر منه ولكن الباشا رفض طلبه وأقام مقامه (شيخا) غيره.

أجل. أزال حكم ثويني من البصرة ولكنه بقي يرأس عشيرة كبيرة تبذل نفسها لخدمته خدمة نصوحا لحبها إياه وشغفها به ولا يبعد أن يصبح عدو الباشا الأزرق إن لم يعده الباشا إلى منصبه).

مر الرحالة بالعراق قافلا من الهند ووجهته لندن فوصل إليها وألقى عصا الترحال فيها ثم نشر رحلته وفي مطاويها كلمته الأخيرة عن الشيخ ثويني ثم جاءت الوقائع مصداقا لما أرتاه إذ اضطر والي بغداد سليمان باشا وهو في أحرج المواقف إلى إعادة الشيخ ثويني إلى منصبه للمرة الثالثة ليستعين به على محاربة الوهابي فتربع الشيخ على مسند الحكم ورحل إلى أنحاء نجد للإيقاع بالعدو لكن عبدا اسمه طعيس بالتصغير)، وهو من عبيد جبور بني خالد، اغتاله هناك في موضع اسمه الشباك (وهو ماء في ديرة بني خالد) في اليوم الرابع من المحرم سنة 1212هـ (1797 م، وقتل القاتل في ساعته وهو ينتمي إلى الوهابيين. وقد جرت قضيته مذ ذاك مثالا يضرب به عند المنتفق فيقولون: (باع بيعة طعيس) يريدون بها أنه صمم على الأمر ولا يرجع عنه ولو يعقبه الموت الزؤام. ويقال إن قبر ثويني معروف في تلك الأنحاء.

وهنا اختتم حاشيتي التي جاءت كذيل لما أردت تعريبه من ذكر عهد تباعد وبقي تاريخه في تضاعيف الكتب والأسفار.

عن كتاب (مباحث عراقية)ج١

على مسافة ٤٠ ميلاً في دجلة شمال العمارة فرجع مصابًا بضربة شمس وحمى فتم نقله الى البصرة لإنه لم يكن يومها في العمارة ثلج، تم إرساله الى مركب مستشفى في بومبي لمدة شهر وكان في حالة إعياء وبينه وبين الموت قيد شعرة وتولى الطبيب (سيمنز) من اطباء الجيش الهندي امر العناية به.

عاد للبصرة بعد شفائه في الأسبوع الأول من شهر آب حيث التقى نيكسون وتباحث معه أمر الزحف على كوت الإمارة، لم يكن احتلال بغداد خياراً مطروحًا لوضع القوات البريطانية التي كانت تعاني من شحة في العدد والعتاد. لكن كوت الإمارة كان هو القرار الذي يُنتظر الموافقة عليه تصل من انكلترا لكي يُنفذ، قال طاوزند لنيكسون: " انا اتكفل بقهر نورالدين المتحصن في موضع يستر كوت الإمارة واهزمه الى دجلة لكن لا تصدر اوامرك لي بالزحف على بغداد بهذه القوة المتيسرة لي " رد القائد العام بأنه لن يزحف من كوت الإمارة قيد عقدة ما لم يوضع تحت إمرته القوة الكافية.

استولى (غورنج) على الناصرية في ٢٤ تموز ١٩١٥بعد مقاومة عنيفة لقيها من الترك مدة اسبوع فتراجعت معظم قوات الترك شمالاً وانضمت الى قوات نورالدين في كوت الإمارة حيث تحصن في موضع (السن) على كلتا ضفتي دجلة على مسافة ٨ أميال شرق كوت الإمارة وهناك اخبار من ان الترك يسعون لسد النهر وكانت تحت إمرة نورالدين ثلاث فرق. كان لدى الترك أيضًا في خانقين خمسة أفواج يتألف كل فوج منها من ستمائة جندي ومن المتوقع ان تنضم لقوات نورالدين، كانوا الترك منهمكين في تحصين طيسفون (سلمان باك) للدفاع عن بغداد وقد تركوا مفرزة جنوب موضع (السن) في محل يدعى (الشيخ سعد).

وصلت يوم ٢٣ آب ١٩١٥ برقية من البصرة مفادها آن الأوان لشن الهجوم و دحر قوات نورالدين و احتلال كوت الامارة وقد وضعت تحت إمرة طاوزند الفرقة السادسة بكتيبة الرماح ولواء المدفعية مع مدافع و ثلاث مراكب بحرية وطائرتان وجهاز تلغراف لاسلكي نقال.

عزم طاوزند على الهجوم على قوات نورالدين في موضع (السن) يوم ٢٧ ايلول ١٩١٥بعد وضع خطة عسكرية للالتفاف عليه وسيحضر المعركة السير جون نيكسون بنفسه، دارت رحى الحرب بين الطرفين مع بعض سوء الحظ في تلكأ قوات طاوزند للالتفاف لكنها انتهت بالفوز و خسر الترك ١٧٠٠ رجلاً بين قتيل وجريح واخذ ١٧ مدفعًا وأسر ١٢٨٩ أسيرًا تركيًا، اما الانكليز كانت خسارتهم ١٢٢٩ رجلاً و كثير من الجنود تم ارسالهم للمستشفيات بسبب الحر وملوحة الماء.

أمر طاوزند اللواء (ديلامين) لإحتلال بلدة الكوت وأمر اللواء (هوتن) بالعسكرة على ضفة النهر بجوار العطفة جنوب (تل السرج) لنقل الجرحى و جمع الأسلحة، على ان يطارد طاوزند بقايا قوات نورالدين وإبعادهم عن النهر لتكون هزيمتهم مختلة النظام فلا يستطيعون تجميع قواتهم في موقع طيسفون (سلمان باك) ولأصبح أمر احتلال بغداد يسيرًا.

٣ تشرين اول /١٩١٥ وصل طاوزند (العزيزية) وهي قرية صغيرة واقعة على ضفة دجلة اليسرى على مسافة ٦٠ ميلاً شمال كوت الامارة وفيها مركز تلغراف، تلقى طاوزند تقريرًا رفعه المقدم (ريلي) في الاستكشاف الجوي ان الترك يستجمعون قواتهم قرب طيسفون (سلمان باك) وهو موقع هائل محصن بالخنادق وهناك ثلاث بواخر مع ست معونات حديدية وكثير من الجند ومخازن المدخرات.

كانت فرقتين أحداهما لطاوزند مكلفة بمقاتلة العدو والاخرى بقيادة (غورنج) موكل إليها أمر المحافظة على خط المواصلات من البحر الى الكوت لذا لا قوة تعاضده في معاركه اذا تمكن العدو من صد طاوزند.

كان الرأي هو عدم مطاردة العدو وإنزال القوات في العزيزية وإبلاغ نيكسون بالأمر ببرقية ارسلت بالتلغراف خوفا من ان تقع في يد العدو. تلقى طاوزند برقية من رئيس اركان الجيش وفيها (ان جميع الامور تقضي بأن تطرد الترك من موقع طيسفون(سلمان باك) ومن المرجو ان تجمع قوتك في مكان واحد هو العزيزية). فهم طاوزند رغبة نيكسون بإحتلال بغداد بالقوة المتوفرة لديه رغم كل المراسلات والجدال حول مسألة تعزيز القوات قبل بدء بالحملة.

يتبع الجزء الثاني

الشيخ امجد الزهاوي وقضية مسجد محلة الشيخ بشار

إعداد: رفعة عيد الرزاق محمد

نقل الشيخ أمجد الزهاوي الى عضوية محكمة بداءة الموصل بتاريخ الاول في نيسان عام 1919 الا انه استقال منها في الخامس عشر من تشرين الثاني عام 1919 اثر تعيين احد المستشارين البريطانيين رئيساً لتلك المحكمة الا انه عاد للعمل في سلك المحاماة فتم ادراج أسمه في سجل المحامين في بداية عام 1920 وكان تسلسله في ذلك السجل هو السابع والاربعين ضمن قائمة تألفت من ستين محامياً ابرزهم مزاحم الباجه جي ورشيد عالي الكيلاني) وقد أفصح الزهاوي عن رغبته في ممارسة مهنة المحاماة وقد عبر عن تلك الرغبة في جريدة العرب البغدادية بقوله: ((لقد عزمت بعد الاستعانة بالله على الاشتغال بالمحاماة امام المحاكم النظامية والشرعية)) كما قام الزهاوي بفتح مكتب له لاستقبال الدعاوى وكان ذلك المكتب مجاور لجامع مرجان الملاصق للبنك الايراني ووقع الاختيار على الزهاوي من قبل مجلس بلدية بغداد الذي اوكل اليه مهمة النظر في الدعاوى نيابة عنه وقد كان السبب في ذلك الاختيار لما كان يتمتع به الزهاوي من قدرة فائقة فضلاً عن تدهور احوال ذلك المجلس ولابد من الاشارة الى ان الزهاوي كان قد اختير في بداية عام 1921 مشاوراً للحقوق في وزارة الاوقاف وقد استمر به حتى عام 1925.

عرف الزهاوي في حقل المحاماة وقد اشتهر بالشجاعة في طلب الحق والدفاع عنه، كما اشتهر الزهاوي في الاوساط القانونية في العراق بانه كان لا يتوكل عن الدعوى الا اذا كان الحق فيها واضحاً ، وكان لا يتراجع او يتساهل تجاه أي قضية حتى لو تعرض لضغط ما بل كان يمضي في دعوته حتى يتمكن من أخذ الحق واظهاره ان ابرز الدعاوى التي توكل الزهاوي للدفاع عنها في العشرينيات من القرن الماضي هي:

قضية مسجد محلة الشيخ بشار

قدمت هذه الدعوى عام 1924 على اثر نزاع بين المسلمين وطائفة البهائية في بغداد حول عائدية احد الاملاك فيها اذ توكل الزهاوي للدفاع عن المدعي جواد كاب واخته(بيبي) اللذين قدما عريضة الى محكمة بداءة بغداد طلبا فيها تثبيت ملكية الدار التي تقع في محلة الشيخ بشار في جانب الكرخ والتي كانت طائفة البهائية قد اتخذتها بمثابة مكان مقدس بعد ادعاء تلك الطائفة ان بهاء الله زعيم الطائفة قد سكنها عندما كان في بغداد وقدموا بذلك اوراق ثبوتية ولكن الزهاوي تمكن

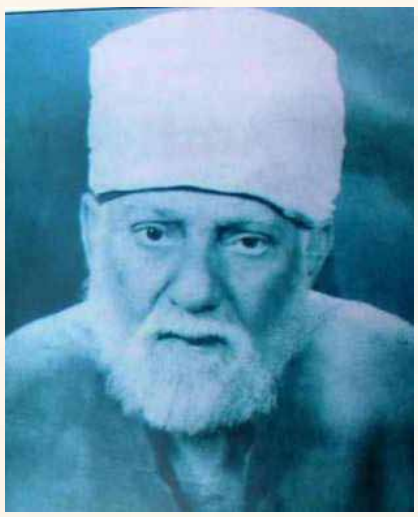

من حسم الدعوة لمصلحة المدعي جواد كاب واخته في الثالث والعشرين من تشرين الاول ذلك العام بعد ان تأكد من ملكية المدعي للدار وكان ذلك القرار في غير مصلحة البهائيين الذين أبرقوا عدداً من البرقيات الاجتماعية الى اميركا واوربا وكذلك الى المندوب السامي البريطاني في العراق وكانت تلك البرقيات تطالب بالتدخل لمصلحة البهائيين. فقد طالبت تلك البرقيات الملك فيصل الاول ، (1921–1933) التدخل لحسم القضية لصالح البهائيين الامر الذي ادى الى اصدار الملك فيصل الاول امراً باخلاء الدار ووضع مفاتيحها بيد الحكومة ، كان ذلك الاجراء موضع احتجاج علماء الدين الشيعة وكان جعفر ابو التمن قد انتدب من قبل بعض مراجع الشيعة لغرض اطلاع الملك فيصل الاول على موقفهم تجاه تلك القضية وعندما وجد الملك فيصل الاول انه اصبح في موقف حرج لذلك استدعى هبة الدين الشهرستاني الذي اقترح بعد لقائه الملك فيصل الاول ان تعوض الحكومة البهائيين قطعة ارض جديدة وبمرور الوقت تحولت الى قضية سياسية دينية وبعد أطلاع الزهاوي على تطوراتها ومعرفته بهدف البهائية تولى الزهاوي الدفاع من جديد عن صاحب الدار (جواد كاب) ففي الثامن من حزيران عام 1924 انبرى الزهاوي بالدفاع امام حاكم صلح بغداد وبعد ان قدم الحجج والادلة القانونية التي تثبت أحقية (جواد كاب) أستطاع ان يكسب الدعوة وعندما علم الشهرستاني بتلك النتيجة ارسل وفداً من العلماء لتقديم الشكر للزهاوي ودفع ثمن اتعابه وكان مبلغاً كبيراً أمتنع الزهاوي عن اخذ ذلك الثمن بقوله: ((ان الذي يعمل للاخرة لا يبغي حطام الدنيا..)).

(تفاصيل القضية كاملة في مقالي: كعبة البهائية في الكرخ)

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5145) السنة التاسعة عشرة

الاثنين (14) آذار 2022

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون